(سورة هود)

{ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ }

{ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ ٱللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ }

{ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَّتَاعاً حَسَناً إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ

وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيۤ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ }

{ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }

{ أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ }

{ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلأَرْضِ إِلاَّ عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ }

{ الر كتاب } مرّ ذكره { أحكمت آياته } أي: أعيانه وحقائقه في العالم الكلي بأن أثبتت دائمة على حالها لا تتبدل ولا تتغير ولا تفسد محفوظة عن كل نقص وآفة { ثم فصلت } في العالم الجزئي وجعلت مبينة في الظاهر معينة بقدر معلوم

{ من لدن حكيم } أي: أحكامها وتفصيلها من لدن حكيم بناها على علم وحكمة لا يمكن أحسن منها وأشدّ أحكاماً { خبير } بتفاصيلها على ما ينبغي في النظام الحكمي في تقديرها وتوقيتها وترتيبها{ ألا تعبدوا إلا الله } أي: ينطق عليكم بلسان الحال والدلالة أن لا تشركوا بالله في عبادته وخصوصه بالعبادة

{ إنني لكم منه نذير وبشير } كلام على لسان الرسول، أي: إنني أنذركم من الحكيم الخبير عقاب الشرك وتبعته وأبشركم منه بثواب التوحيد وفائدته.

{ وأن اسْتَغْفِروا ربكم } أي: وحدوه واطلبوا منه أن يغفر هيئات النظر إلى الغير والاحتجاب بالكثرة والتقيد بالأشياء والوقوف معها حتى أفعالكم وصفاتكم

{ ثم توبوا إليه } ارجعوا إليه بالفناء فيه ذاتاً { يمتعكم } في الدنيا تمتيعاً

{ حسناً } على وفق الشريعة والعدالة حالة البقاء بعد الفناء إلى وقت وفاتكم

{ ويـؤت كل ذي فضـل } في الأخـلاق والعلـوم والكـمالات { فضلـه } في الثـواب والدرجـات أو يمتعكـم بلـذات تجليـات الأفعـال والصفـات عنـد تجرّدكـم إلى وقـت فنائكـم أو { ويؤت كل ذي فضل } في الاستعداد فضله في الكمال والمرتبة عند الترقي والتدلي { وإن تولّوا } أي: تعرضوا عن التوحيد والتجريد { فـإني أخـاف عليكـم عـذاب يـوم كبـير } شـاق عليكـم وهـو يـوم الرجـوع إلى اللـه القادر عـلى كل شيء أي: يـوم ظهـور عجزكـم وعجـز مـا تعبـدون بظهـوره تعالى في صفة قادريته فيقهركم بالعذاب.

{ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُمْ مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَـٰذَآ إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ }

{ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلاَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ }

{ وهـو الـذي خلـقَ السـموات والأرض في سـتة أيـام } أي: خلـق العـالم الجسـماني في سـت جهـات { وكان عرشـه عـلى المـاء } أي: عرشـه الـذي هـو العقـل الأول مبتنيـاً عـلى العلـم الأول مسـتنداً إليـه مقدمـاً بالوجـود عـلى عـالم الأجسـام، وإن أوّلنـا الأيـام السـتة بمـدة الخفـاء كـما مـر وخلـق السـموات والأرض باختفائـه تعـالى بتفاصيـل الموجـودات فمعنـى كـون عرشـه عـلى المـاء كونـه قبـل بدايـة الاختفـاء ظاهـراً معلومـاً للنـاس كقولـك: فعلتـه عـلى علـم، أي: في حـال كونـه معلومـاً لي، أو كـوني عالمـاً بـه، أي: على المعلومية كما قال حارثة حين سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم: « كيـف أصبحـت يـا حارثـة؟ « قـال: أصبحـت مؤمنـاً حقـاً. قـال صـلى اللـه عليـه وسـلم: « لـكل حـق حقيقـة، فـما حقيقـة إيمانـك؟ « **قـال: رأيـت أهـل الجنـة يتـزاورون ورأيـت أهـل النـار يتعـاوون ورأيـت عـرش ربي بـارزاً.**

قـال صـلى اللـه عليـه وسـلم: « أصبـت، فالـزم « وقـد عـبّر في الـشرع عـن المـادة الهيولانيـة بالمـاء في مواضـع كثـيرة منهـا مـا ورد في الحديـث: إن اللـه خلـق أول مـا خلـق جوهـرة، فنظـر إليهـا بعـين الجـلال فذابـت حيـاء نفسـها مـاء ونصفهـا نـار.

فإن أوّلناه بها فمعناه: وكان عرشه قبل السموات والأرض بالذات لا بالزمان مستعلياً على المادة فوقها بالرتبة، وإن شئت التطبيق على تفاصيل وجودك فمعناه خلق سموات القوى الروحانية وأرض الجسد في الأشهر الستة التي هي أقل مدة الحمل وكان عرشه الذي هو قلب المؤمن على ماء مادة الجسد مستولياً عليه متعلقاً به تعلق التصوير والتدبير

{ ليبلوكُم أيكم أحسن عملاً } جعل غاية خلق الأشياء ظهور أعمال الناس

أي: خلقناهم لنعلم العلم التفصيلي التابع للوجود الذي يترتب عليه الجزاء أيكم أحسن عملاً فإن علم الله قسمان: قسم يتقدّم وجود الشيء في اللوح، وقسم يتأخر وجوده في مظاهر الخلق والبلاء الذي هو الاختبار هو هذا القسم.

{ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ }

{ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ }

{ ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة } إلى آخره، ينبغي للإنسان أن يكون في الفقر والغنى والشدّة والرخاء والمرض والصحة واثقاً بالله متوكلاً عليه لا يحتجب عنه بوجود نعمة ولا بسعيه وتصرّفه في الكسب ولا بقوّته وقدرته في الطلب ولا بسائر الأسباب والوسائط لئلا يحصل اليأس عند فقدان تلك الأسباب والكفران والبطر والأشر عند وجودها فيبعد بها عن الله تعالى وينساه فينساه الله بل يرى الإعطاء والمنع منه دون غيره، فإن أتاه رحمة من صحة أو نعمة شكره أولاً برؤية ذلك منه وشهود المنعم في صورة النعمة، وذلك بالقلب ثم بالجوارح باستعمالها في مراضيه وطاعته والقيام بحقوقه تعالى فيها ثم باللسان بالحمد والثناء متيقناً بأنه القادر على سلبها، محافظاً عليها بشكرها مستزيداً إياها اعتماداً على قوله تعالى:

{ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ }[إبراهيم، الآية: ٧].

قال أمير المؤمنين عليه السلام: « إذا وصلت إليكم أطراف النِعم فلا تنفروا أقصاها بقلّة الشكر « ، ثم إن نزعها منه فليصبر ولا يتأسف عليها عالماً بأنه هو الذي نزع دون غيره لمصلحة تعود إليه. فإنّ الرب تعالى كالوالد المشفق في تربيته إياه، بل أرأف وأرحم، فإن الوالد محجوب عما يعلمه تعالى إذ لا يرى إلا عاجل مصالحه

وظاهرها وهو العالم بالغيب والشهادة فيعلم ما فيه صلاحه عاجلاً وآجلاً راضياً بفعله راجياً إعادة أحسن ما نزع منها إليه

إذ القانط من رحمته بعيد منه لا يستوسع رحمته لضيق وعائه محجوب عن ربوبيته لا يرى عموم فيض رحمته ودوامه ثم إذا أعادها لم يفرح بوجودها كما لم يحزن بفقدانها ولا يفخر بها على الناس، فإن ذلك من الجهل وظهور النفس وإلا لعلم أن ذلك ليس منه وله فبأي سبب يسوغ له فخر بما ليس له ومنه بل لله ومن الله.

{ إِلاَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ أُوْلَـٰئِكَ لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ }

{ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ }

{ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ }

{ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُواْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لاَّ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُمْ مُّسْلِمُونَ }

{ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ }

{ إلاّ الذين صَبَروا } استثناء من الإنسان أي هذا النوع يؤوس كفور فرح فخور في الحالين إلا الذين صبروا مع الله واقفين معه في حالة الضراء والنعماء والشدة والرخاء كما قال عمر رضي الله عنه: الفقر والغِنى مطيتان لا أبالي أيهما أمتطي، { وعَمِلوا } في الحالين ما فيه صلاحهم مما ذكر { أولئك لهم مغفرة } من ذنوب ظهور النفس باليأس والكفران والفرح والفخر في الحالين { وأجرٌ كبير } من ثواب تجليات الأفعال والصفات وجنانها { فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك }

لما لم يقبلوا كلامه صلى الله عليه وسلم بالإرادة وأنكروا قوله بالاقتراحات الفاسدة وقابلوه بالعناد والاستهزاء ضاق صدره ولم ينبسط للكلام إذ الإرادة تجذب الكلام وقبول المستمع يزيد نشاط المتكلم ويوجب بسطه فيه، وإذا لم يجد المتكلم محلاً

قابلاً لم يتسهل له وبقي كرباً عنده فشجعه الله تعالى بذلك، وهيّج قوته ونشاطه بقوله: { إنما أنت نذير } فلا يخلو إنذارك من إحدى الفائدتين إما رفع الحجاب بأن ينجع فيمن وفقه الله تعالى لذلك، وإما إلزام الحجة لمن لم يوفق لذلك { والله على كل شيء وكيل } فكل الهداية إليه.

{ من كان يريد الحياة الدنيا } أي: كل من يعمل عملاً وإن كان من أعمال الآخرة في الظاهر بنية الدنيا لا يريد به إلا حظاً من حظوظها يوفيه الله تعالى أجره فيها ولا يصل إليه من ثواب الآخرة شيء، فإنّ لكل أحد نصيباً من الدنيا بمقتضى نشأته التي هو عليها ونصيباً من الآخرة بمقتضى فطرته التي فطر عليها،

فإذا لم يرد بعمله إلا الدنيا فقد أقبل بوجهه إليها وأعرض عن الآخرة وجعل النصيب الدنيوي بانجذابه وتوجهه إلى الجهة السفلية حجاب النصيب الأخروي حتى انتكست فطرته وتبعت النشأة واستخدمت نفسه القلب في طلب حظوظها فصار نصيبه من الآخرة منضماً إلى النصيب الدنيوي { وهم فيها } لا ينقصون أي: لا ينقص من ثواب أعمالهم في الدنيا شيء لأنه لما تشكل القلب بهيئة النفس تمثل حظه بصورة حظ النفس.

{ أُوْلَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلآخِرَةِ إِلاَّ ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }

{ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَاماً وَرَحْمَةً أُوْلَـٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ ٱلأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ }

{ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً أُوْلَـٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلأَشْهَادُ هَـٰؤُلاءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّالِمِينَ }

{ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُمْ بِٱلآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ }

{ أُولَـٰئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلأَرْضِ

وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ
مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ }
{ أُوْلَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُواْ أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ }
{ لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلآخِرَةِ هُمُ ٱلأَخْسَرُونَ }

{ أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار } لتعذب قلوبهم بالحجب الدنيوية وحرمانها عن مقتضى استعدادها وتألمها بما لا يلائمها من مكسوباتها { وحَبط ما صَنَعوا } من أعمال البر في الآخرة لكونها بنية الدنيا لقوله صلى الله عليه وسلم: « **الأعمال بالنيّات ولكل امرئ ما نوى** «

إلى آخر الحديث.{ أفمَن كان على بينة من ربّه }

أي: أمن كان يريد الحياة الدنيا فمن كان على بينة من ربّه يعني بعد ما بينهما في المرتبة بعداً عظيماً من كان على بينة

أي: يقين برهاني عقلي أو وجداني كشفي ويتبع ذلك اليقين { شاهد } من ربّه

أي: القرآن المصدّق للبرهان العقلي في التوحيد وصحة النبوّة وأصول الدين،

ومن قبل هذا القرآن { كتاب موسى } أي: يتبع البرهان من قبل هذا الكتاب كتاب موسى في حال كونه { إماماً } يؤتّم به وقدوة يتمسك بها في تحقيق المطالب ورحمة رحيمية تهدي الناس وتزْكيهم وتعلمهم الحِكَم والشرائع

{ أولئك يؤمِنُون به } بالحقيقة دون الطالبين لحظوظ الدنيا.

{ ومن أظلم ممن افْتَرى على الله كَذباً } بإثبات وجود غيره وإسناد صفته من الكلام ونحوه إلى الغير { أولئك يعرضون على ربّهم }

بالوقف في الموقف الأول محجوبين مخذولين { ويقول الأشهاد } الموحدون

{ هؤلاء الذين كذبوا على ربّهم } بالشرك ثم طردوا ولعنوا بسبب شركهم الذي هو أعظم الظلم { الذين يصدون } الناس عن سبيل التوحيد ويصفونها بالاعوجاج مع استقامتها وهم مع احتجابهم عن الحق محجوبون عن الآخرة دون غيرهم من أهل الأديان.

{ إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُواْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أ

{ أُوْلَـٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }
{ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ } * { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ }
{ أَن لاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ ٱللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ }
{ فَقَالَ ٱلْمَلأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ ٱتَّبَعَكَ إِلاَّ ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ }
{ قَالَ يٰقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ }

{ إن الذين آمنوا } الإيمان اليقيني الغيبي { وعملوا } الأعمال التي تصلحهم للقاء الله وتقرّبهم إليه من التوبة والزهد الحقيقي والإنابة والعبادة والصبر والشكر وما يناسبها من أعمال أهل السلوك ومقاماتهم { وأخبتوا إلى ربّهم } وتذللوا واطمأنوا إليه بالشوق وانقطعوا إليه متفانين فيه { أولئك أصحاب } جنة القلوب { هم فيها خالدون }.

{ فقال الملأ الذين كفروا من قومه } أي: الإشراق المليئون بأمور الدنيا، القادرون عليها، الذين حجبوا بعقلهم ومعقولهم عن الحق. { ما نراك إلاّ بشراً مثلنا } لكونهم ظاهريين واقفين على حد العقل المشوب بالوهم المتحير بالهوى الذي هو عقل المعاش لا يرون لأحد طوراً وراء ما بلغوا إليه من العقل غير مطلعين على مراتب الاستعدادات والكمالات طوراً بعد طور ورتبة فوق رتبة إلى ما لا يعلمه إلا الله، فلم يشعروا بمقام النبوّة ومعناها

{ وما نراك اتّبعك إلاّ الذين هم أراذلنا } فقراؤنا الأدنون منّا، إذ المرتبة والرفعة عندهم بالمال والجاه ليس إلا كما قال تعالى:

{ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ }

[الروم، الآية: ٧].{ بادي الرأي } أي: بديهة الرأي وأوله لأنهم ضعاف العقول، عاجزون عن كسب المعاش، ونحن أصحاب فكر ونظر قالوا ذلك لاحتجابهم

بعقلهم القاصر عن إدراك الحقيقة والفضيلة المعنوية لقصر تصرّفه على كسب المعاش والوقوف على حدة.

وأما أتباع نوح عليه السلام فإنهم أصحاب همم بعيدة وعقول حائمة حول القدس غير متصرّفة في المعاش ولا ملتفتة إلى وجوه كسبه وتحصيله، فلذلك استنزلوا عقولهم واستحقروها { وما نرى لكم علينا فضل } وتقدّم فيما نحن بصدده لكون الفضل عندهم محصوراً في التقدّم بالغنى والمال والجاه

{ بل نظنكم كاذبين } لعدم إدراك ما تثبتون وفهم ما تقولون مع وفور كياستنا { أرأيتم إن كنت على بيّنة من ربي } يجب عليكم من طريق العقل الإذعان له { وآتاني رحمة }أي: هداية خاصة كشفية متعالية عن درجة البرهان

{ من عنده } أي: فوق طور العقل من العلوم اللدنية ومقام النبوّة

{ فعميت عليكم } لاحتجابكم بالظاهر عن الباطن وبالخليقة عن الحقيقة ولا يمكن تلقيها إلا بالإرادة لأهل الاستعداد فكيف نلزمكموها ونجبركم عليها

{ وأنتم لها كارهون } أي: إن شئتم تلقيها فزكوا نفوسكم وصفوا استعدادكم إن وهب لكم واتركوا إنكاركم حتى يظهر عليكم أثر نور الإرادة فتقبلوها إن شاء الله.

{ وَيٰقَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَاْ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّهُمْ مُّلاَقُواْ رَبِّهِمْ وَلَـٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ }

{ وَيٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ }

{ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلاَ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْراً ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذاً لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ }

{ قَالُواْ يٰنُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ }

{ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ }

{ وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ }

{ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَاهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي
وَأَنَاْ بَرِيۤءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ }
{ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ
إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ }
{ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ }

{ لا أسألكم عليه مالاً } أي: الغرض عندكم من كل أمر محصور في حصول المعاش وأنا لا أطلب ذلك منكم فتنبهوا لغرضي وأنتم عقلاء بزعمكم

{ وما أنا بطارد الذين آمنوا } لأنهم أهل القربة والمنزلة عند الله فإن طردتهم كنت عدوّ الله مناوياً لأوليائه لست بنبي حينئذ { ولكني أراكم قوماً تجهلون } ما يصلح به المرء للقاء الله ولا تعرفون الله ولا لقاءه لذهاب عقولكم في الدنيا أو تسفهون تؤذون المؤمنين بسفهكم.

{ ويا قوم من يَنْصرني من الله } الذي هو القاهر فوق عباده

{ إن طردتهم } واستوجبت قهره بطردهم { أفلا تذكرون } مقتضيات الفطرة الإنسانية فتنزجرون عما تقولون { ولا أقول لكم عندي خزَائِن الله }

أي: أنا أدّعي الفضل بالنبوة لا بالغنى وكثرة المال ولا بالاطلاع على الغيب ولا بالملكية حتى تنكروا فضلي بفقدان ذلك { ولا أقول } للفقراء المؤمنين الذين تستحقرونهم وتنظرون إليهم بعين الحقارة { لن يؤتيهم الله خيراً }

كما تقولون، إذ الخير عندي ما عند الله لا المال { الله أعلم بما في أنفسهم }

من الخير مني ومنكم وهو أعرف بقدرهم وخطرهم وما يعلم أحد قدر خيرهم لعظمه { إني إذاً } أي: إذ نفيت الخير عنهم أو طردتهم { لمن الظالمين }.

{ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ
قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ }
{ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ }
{ حَتَّىٰ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ
وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَآ آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ }

{ ويصنع الفلك } إلى آخره، تفسيره على ما دل عليه الظاهر حق يجب الإيمان به وصدق لا بدّ من تصديقه كما جاء في التواريخ من بيان قصة الطوفان وزمانه وكيفيته وكميته.

وأما التأويل فمحتمل بأن يؤوّل الفلك بشريعة نوح التي نجا بها هو ومن آمن معه من قومه كما قال النبي عليه الصلاة والسلام:« **مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركب فيها نجا ومن تخلّف عنها غرق**

« والطوفان باستيلاء بحر الهيولى وإهلاك من لم يتجرّد عنها بمتابعة نبيّ وتزكية نفس كما جاء في كلام إدريس النبيّ عليه السلام ومخاطباته لنفسه ما معناه:

إنّ هذه الدنيا بحر مملوء ماء فإن اتخذت سفينة تركبها عند خراب البدن نجوت منها إلى عالمك وإلا غرقت فيها وهلكت، فعلى هذا يكون معنى ويصنع الفلك يتخذ شريعة من ألواح الأعمال الصالحة ودسر العلوم التي تنظم بها الأعمال وتحكم.

{ وكلما مرّ عليه ملأ من قومه سخروا منه } كما ترى من عادة الشطّار وذوي الخلاعة المشتهرين بالإباحة يستهزئون بالمتشرّعين والمتقيدين بقيودها

{ قال إن تسخروا منا } بجهلكم { فإنّا نسخر منكم } عند ظهور وخامة عاقبة كفركم واحتجابكم { كما تسخرون فسوف تعلمون } عند ذلك

{ من يأتيه عذابٌ يخزيه } في الدنيا من هلاك وموت أو مرض وضرّ أو شدة وفقر، كيف يضطرب ويتحسر على مايفوت منه { ويحلّ عليه عذابٌ مُقِيم } دائم في الآخرة من استيلاء نيران الحرمان وهيئات الرذائل المظلمة والخسران.

{ حتى إذا جَاء أمرنا } بإهلاك أمّتك { وفَار } تنور البدن باستيلاء الأخلاط الفاسدة والرطوبات الفضلية على الحرارة الغريزية وقوة طبيعة ماء الهيولى على نار الروح الحيوانية أو أمرنا بإهلاككم المعنوي وفار التنور باستيلاء ماء هوى الطبيعة على القلب وإغراقه في بحر الهيولى الجسماني { قلنا احْمِل فيها من كل زوجين اثنين } أي: من كل صنفين من نوع اثنين هما صورتاهما النوعية والصنفية الباقيتان عند فناء الأشخاص. ومعنى حملهما فيها: علمه ببقائهما مع بقاء الأرواح الإنسية،

فإن علمه جزء من سفينته الحاوية للكل لتركبها من العلم والعمل، فمعلوميتهما محموليتهما وعاليته بهما حامليته إياهما فيها { وأهلك } ومن يتصل بك في دينك

وسيرتك من أقاربك { إلا من سبق عليه القول }
أي: الحكم بإهلاكه في الأزل لكفره { ومن آمن } بالله من أمّتك.

{ وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٰيهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ }
{ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُ
وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ ٱلْكَافِرِينَ }
{ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِ قَالَ لاَ عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ
إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ }
{ وَقِيلَ يٰأَرْضُ ٱبْلَعِي مَآءَكِ وَيٰسَمَآءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ ٱلْمَآءُ
وَقُضِيَ ٱلأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ }

{ وقال ارْكَبوا فيها بِسْم الله مجريها ومرساها } أي: باسم الله الأعظم الذي هو وجود كل عارف كامل من أفراد نوع الإنسان إنفاذها وإجراء أحكامها وترويجها في بحر العالم الجسماني وإقامتها وأحكامها وإثباتها كما ترى من إجراء كل شريعة وإنفاذ أمرها وتثبيتها وأحكامها بوجود نبي أو إمام من أئمتها أو حبر من أحبارها { إنّ ربي لغفور } يغفر هيئات نفوسكم البدنية المظلمة وذنوب ملابس الطبيعة المهلكة إياكم، المغرقة في بحرها بمتابعة الشريعة { رحيم } يرحم بإفاضة المواهب العلمية والكشفية والهيئات النورانية التي ينجيكم بها لولا مغفرته ورحمته لغرقتم وهلكتم مثل إخوانكم.{ وهي تجري بهم في موج } من فتن بحر الطبيعة الجسمانية واستيلاء دواعيها على الناس وغلبة أهوائها باتفاقهم على مقتضياتها كالجبال الحاجبة للنظر، المانعة للسير أو موج من انحرافات المزاج وغلبات الأخلاط المردية { ونادى نُوح ابْنِه } المحجوب بعقله المغلوب بالوهم الذي هو عقل المعاش عن دين أبيه وتوحيده { وكان في معزل } عن دينه وشريعته

{ يا بُني ارْكب معنا } أي: أدخل في ديننا { ولا تكن مع الكافرين } المحجوبين عن الحق، الهالكين بموج هوى النفس، المغرقين في بحر الطبع

{ قال سآوي إلى جبل يَعْصمني من الماء } يعني به الدماغ الذي هو محل العقل، أي: سأستعصم بالعقل والمعقول ليعصمني من استيلاء بحر الهيولى فلا أغرق فيه {

قال لا عاصِم اليوم من أمر الله إلا } الذي { رَحِم } بدين التوحيد والشرع { وحالَ بينهما } موج هوى النفس واستيلاء ماء بحر الطبيعة، أي: حجبه عن أبيه ودينه وتوحيده { فكان من المُغْرَقين }في بحر الهيولى الجسمانية.

{ وقيل يا أرض ابْلَعي ماءك ويا سماء أقْلَعِي } أي: نودي من جهة الحق على لسان الشرع أرض الطبيعة الجسمانية أي: يا أرض انقصي بأمر الشريعة وامتثال أحكامها من غلبة هواك واستيلائه بفوران موادّك على القلب، وقفي على حدّ الاعتدال الذي به قوامه، ويا سماء العقل المحجوبة بالعادة والحس، المشوبة بالوهم، المغيمة بغيم الهوى التي تمدّ النفس والطبيعة بتهيئة موادها وأسبابها بالفكر { أقلعي } عن مددها { وغيض } ماء قوة الطبيعة الجسمانية ومدد الرطوبة الحاجبة لنور الحق، المانعة للحياة الحقيقية { وقضى } أمر الله بإنجاء من نجا وإهلاك من هلك { واسْتَوت }

أي: استقامت شريعته { على } جودي وجود نوح واستقرّت { وقيل بُعْداً } أي: هلاكاً { للقوم الظالمين } الذين كذّبوا بآيات الله وعبدوا الهوى مكان الحق ووضعوا طريق الطبيعة مكان الشريعة.

{ وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي
وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَاكِمِينَ }
{ قَالَ يٰنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ
فَلاَ تَسْئَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَاهِلِينَ }
{ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ
وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ ٱلْخَاسِرِينَ }
{ قِيلَ يٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ
وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ }
{ تِلْكَ مِنْ أَنْبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ
وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ }

{ ونادى نوح ربّه فقال ربّ إن ابْني من أهلي } حمله شفقة الأبوة وتعطف الرحم

والقرابة على طلب نجاته لشدّة تعلقه به واهتمامه بأمره، وراعى مع ذلك أدب الحضرة وحسن السؤال فقال: { وإن وعْدَكَ الحقّ } ولم يقل لا تخلف وعدك بإنجاء أهلي، وإنما قال ذلك لوجود تلوين وظهور بقية منه إذ فهم من الأهل ذوي القرابة الصورية والرحم الطبيعية وغفل لفرط التأسف على ابنه عن استثنائه تعالى بقوله:

{ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ }[هود، الآية: ٤٠]

ولم يتحقق أنّ ابنه هو الذي سبق عليه القول ولا استعطف ربّه بالاسترحام وعرّض بقوله: { وأنت أحكم الحاكمين } إلى أن العالم العادل والحكيم لا يخلف وعده.

{ قال يا نوح إنه ليس من أهلك } أي: إنّ أهلك في الحقيقة هو الذي بينك وبينه القرابة الدينية واللحمة المعنوية والاتصال الحقيقي لا الصوري كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: « ألا وإنّ وليّ محمد من أطاع الله وإن بَعُدَتْ لحمته، ألا وإن عدّو محمد من عصى الله وإن قَرُبَتْ لحمته « ،

{ إنه عمل غير صالح } بين انتفاء كونه من أهله بأنه غير صالح تنبيهاً على أنّ أهله هم الصلحاء، أهل دينه وشريعته وأنه لتماديه في الفساد والغيّ كأن نفسه عمل غير صالح. وأنّ سبب النجاة ليس إلا الصلاة لا قرابته منك بحسب السورة، فمن لا صلاح له لا نجاة له. ولوّح إلى أنه صورة من صور الخطايا صدرت منك كما قيل: إنه سرّ من أسرار أبيه على ما قال النبي عليه الصلاة والسلام:

« **الولد سرّ أبيه** « وذلك أنه لما بالغ في الدعوة وبلغ الجهد في المدة المتطاولة وما أجابه قومه غضب ودعا عليهم بقوله:

{ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى ٱلأَرْضِ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ دَيَّاراً إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُواْ إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً }

[نوح، الآيات: ٢٦-٢٧]، فذهل عن شهود قدرة الله وحكمته وأنه:

{ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ }

[يونس، الآية: ٣١] فكانت دعوته تلك ذنب حاله في خطيئة مقامه ، فابتلاه الله بالفاجر الكفّار الذي زعم حال غضبه أنهم لا يلدون إلا مثله وحكم على الله بظنه فزكّاه عن خطيئته بتلك العقوبة. وفي الحديث:

« **خلق الكافر من ذنب المؤمن** « { فلا تسألني ما ليس لك به علم } من إنجاء من ليس بصالح ولا من أهلك، واعلم أن الصلاح هو سبب النجاة دون غيره، وأن أهلك هو ذو القرابة المعنوية لا الصورية.

{ إني أعِظك أن تكون من الجاهلين } الواقفين مع ظواهر الأمور، المحجوبين عن حقائقها، فتنبّه عليه السلام عند ذلك التأديب الإلهي والعتاب الرباني وتعوّذ بقوله: { ربّ إني أعوذ بك أن أسالك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي } تلويناتي وظهور بقاياي { وترحمني } بالاستقامة والتمكين { أكن من الخاسرين } الذين خسروا أنفسهم بالاحتجاب عن علمك وحكمتك { قيل يا نوح اهبط }

أي: اهبط من محل الجمع وذروة مقام الولاية والاستغراق في التوحيد إلى مقام التفصيل وتشريع النبوّة بالرجوع إلى الخلق ومشاهدة الكثرة في عين الوحدة لا مغضباً بالاحتجاب بهم عن الحق ولا راضياً بكفرهم بالاحتجاب بالحق عنهم { بسلام } أي: سلامة عن الاحتجاب بالكثرة وظهور النفس بالغضب ووجود التلوين وحصول التعلق بعد التجرد والضلال بعد الهدى { منّا }

أي صادر منا وبنا { وبركات } بتقنين قوانين الشرع وتأسيس قواعد العدل الذي ينمو به كل شيء ويزيد { عليك وعلى أُمم } ناشئة { ممن معك } وعلى دينك وطريقتك إلى آخر الزمان.

{ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ
مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ }
{ يٰقَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِي أَفَلاَ تَعْقِلُونَ }
{ وَيٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُمْ مِّدْرَاراً
وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ }
{ قَالُواْ يٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ
وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ }
{ إِن نَّقُولُ إِلاَّ ٱعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ
قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ }

{ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ }
{ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }
{ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّونَهُ شَيْئاً إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ }
{ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوداً وَٱلَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ }
{ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُ وَٱتَّبَعُواْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ }
{ وَأُتْبِعُواْ فِي هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَاداً كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْداً لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ }
{ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ ٱلأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ }
{ قَالُواْ يٰصَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوّاً قَبْلَ هَـٰذَا أَتَنْهَانَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ }
{ قَالَ يٰقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةً مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ }
{ وَيٰقَوْمِ هَـٰذِهِ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ ٱللَّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ }
{ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ ذٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ }
{ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً وَٱلَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ }

{ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ }
{ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ أَلاَ إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْداً لِّثَمُودَ }

{ ويا قوم اسْتَغفروا ربّكم } من ذنوب حجب صفات النفس والوقوف مع الهوى بالشرك { ثم توبوا إليه } بالتوجه إلى التوحيد والسلوك في طريقه بالتجرّد والتنوّر. يرسل سماء الروح { عليكم مِدْرَاراً } بماء العلوم الحقيقية والمعارف اليقينية { ويزدكم } قوّة الكمال { إلى } قوة الاستعداد ولا تعرضوا عنه { مجرمين } بظهور صفات نفوسكم وتوجهكم إلى الجهة السفلية بمحبة الدنيا ومتابعة الطبيعة.

{ قالوا يا هود ما جئتنا ببيّنة } لقصور فهمهم وعمى بصيرتهم عن إدراك البرهان لمكان الغشاوات الطبيعية وإذا لم يدركوه أنكروه بالضرورة { إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابّة إلاّ هو آخذ بناصيتها } بين وجوب التوكل على الله وكونه حصناً حصيناً أولاً بأن ربوبيته شاملة لكل أحد، ومن يربّ يدبر أمر المربوب ويحفظه فلا حاجة له إلى كلاءة غيره وحفظه. ثم بان كل ذي نفس تحت قهره وسلطانه أسير في يد تصرفه ومملكته وقدرته عاجز عن الفعل والقوة والتأثير في غيره لا حراك به بنفسه كالميت فلا حاجة إلى الاحتراز منه والتحفظ ثم بأن

{ على صِرَاطٍ مُسْتَقيم } أي: على طريق العدل في عالم الكثرة الذي هو ظل وحدته فلا يسلط أحداً على أحد إلا عن استحقاق له لذلك بسبب ذنب وجرم ولا يعاقب أحداً من غير زلّة ولو صغيرة وقد يكون لتزكية ورفع درجة كالشهادة وفي ضمن ذلك كله نفي القدرة على النفع والضرّ عنهم وعن آلهتهم.

{ ويا قوم هذه ناقة الله } قد مرّ تأويل الناقة، وأما إنجاء صالح ومن معه على التأويل المذكور فكإنجاء عيسى عليه السلام من الصَلْب كما جاء في قوله تعالى:

{ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ }

[النساء: ١٥٧]، وفي قوله:

{ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ }[النساء، الآيات: ١٥٧-١٥٨].

وكإنجاء مؤمن آل فرعون على ما أشار إليه بقوله تعالى:

{ فَوقَاهُ ٱللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُواْ } [غافر، الآية: ٤٥].

{ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَاهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلاَماً قَالَ سَلاَمٌ
فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ }
{ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً
قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ }
{ وَٱمْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ }
{ قَالَتْ يٰوَيْلَتَىٰ ءَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَـٰذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ }
{ قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ
أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ } { فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ ٱلرَّوْعُ
وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ}
{ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ } { يٰإِبْرٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَآ
إِنَّهُ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ }
{ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقَالَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ
{
{ وَجَآءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّئَاتِ
قَالَ يٰقَوْمِ هَـٰؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ
فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَلاَ تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ }
{ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ }
{ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ }
{ قَالُواْ يٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُواْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلاَ
يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ
أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ }
{ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ }

{ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ }

{ ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبُشْرى } إلى آخره، إن للنفوس الشريفة الإنسانية اتصالات بالمبادئ المجرّدة العالية والأرواح المقدّسة الفلكية من الأنوار القاهرة العقلية والنفوس المدبرة السماوية واختلاطات بالملأ الأعلى من أهل الجبروت وانخراطات في سلك الملكوت. ولكل نفس بحسب فطرتها مبدأ يناسبها من عالم الجبروت ومدبّر يربها من عالم الملكوت تستمد من الأول فيض العلم والنور، ومن الثاني مدد القوة والعمل كما أشار إليه قوله:

{ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ }

[ق، الآية: ٢١] ومقرّ أصلي تأوي إليه من جناب اللاهوت إن تجرّدت، كما قال عليه الصلاة والسلام:

« أرواح الشهداء تأوي إلى قناديل من نور معلقة تحت العرش » ،

وكلما انجذبت إلى الجهة السفلية بالميل إلى اللذات الطبيعية احتجبت بغشاوتها عن ذلك الجناب وانقطع مددها من تلك الجهة من الأنوار الجبروتية والقوى الملكوتية، فضعفت في الإدراكات لاحتجابها عن قبول تلك الإشراقات.

وفي المنّة والقوة لانقطاع مددها من تلك القوة. وكلما توجهت إلى الجهة العلوية بالتنزّه عن الهيئات البدنية، والتجرّد عن الملابس المادية، والتقرّب

إلى الله تعالى، مبدأ المبادئ، ونور الأنوار بالزهد والعبادة.

والتشبث في المبادئ بالنظافة والنزاهة مقروناً عمله بالصدق في النية وإخلاص الطويّة أمدّه الله تعالى لمناسبته سكان حضرته من عالمهم إمداد النور والقوة، فتعلم ما لا يعلمه غيرها من أبناء جنسها وتقدر على ما لا يقدر عليه مثلها من بني نوعها، ويكون لها أوقات تنخرط فيها في سلكها بالانخلاع عن بدنها وأوقات تبعد فيها عنها بما هي ممنوّة به من تدبير جسدها. ففي أوقات اتصالها بها وانخراطها في سلكها قد تتلقى الغيب منها، إما كما هو على سبيل الوحي والإلهام والإلقاء في الروع والإعلام بمطالعة صورة الغيب المنتقشة هي بها منها، وإما على طريق الهتاف والإنهاء، وإما على صورة كتابة في صحيفة تطالعه منها وذلك بحسب جهة

قبول لوح حسها المشترك واختصاصه بنوع بعض المحسوسات دون بعض للأحوال السابقة والاتفاقات العارضة.

وقد يتراءى لها صور منها تناسبها في الحسن واللطافة فيتجسد لها إما بقوة تخيلها وظهورها في حسها المشترك لاستحكام الاتصال واستقراره ريثما تحاكيها المتخيلة، وإما بتمثيلها في متخيلة الكل التي هي السماء الدنيا وانطباعها في متخيلتها بالانعكاس كما فيما بين المرايا المتقابلة فتخاطبها بصورة الغيب شفاهاً على ما يُرَى في المنامات الصادقة من غير فرق، فإن الرؤيا الصادقة والوحي كلاهما من واد واحد لا تباين بينهما إلا بالنوم واليقظة، فإن صاحب الوحي يقدر على الغيبة من الحواس وإدراكاتها وعزلها عن أفعالها وتعطيلها في استعمالها فيتصل بالمجرّدات العلوية لقوة نفسه وحصول ملكة الاتصال لها، وصاحب الرؤيا الصادقة يقع له ذلك بحكم الطبع وتلك الرؤيا هي التي لا تحتاج إلى تعبير كما أشار إليه من رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم في القرآن بقوله:

{ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ }

{ وَيٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي ٱلأَرْضِ مُفْسِدِينَ }

{ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَاْ عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ }

{ قَالُواْ يٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءابَاؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ }

{ قَالَ يٰقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ ٱلإِصْلاَحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ }

{ وَيٰقَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ

{ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ }
{ وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ }
{ قَالُواْ يٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ }
{ قَالَ يٰقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيّاً إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ }
{ وَيٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُواْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ }
{ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَٱلَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ }
{ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ أَلاَ بُعْداً لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ }

{ إني أَرَاكُم بِخَير } لما رأى شعيب عليه السلام ضلالتهم بالشرك واحتجابهم عن الحق بالجبت، وتهالكهم على كسب الحطام بأنواع الرذائل وتماديهم في الحرص على جمع المال بأسوأ الخصال منعهم عن ذلك وقال: إني أراكم بخير في استعدادكم من إمكان حصول كمال وقبول هداية فإني أخاف عليكم إحاطة خطيئاتكم بكم لاحتجابكم عن الحق ووقوفكم مع الغير وصرف أفكاركم بالكلية إلى طلب المعاش وإعراضكم عن المعاد، وقصور هممكم على إحراز الفاسدات الفانيات عن تحصيل الباقيات الصالحات، وانجذابكم إلى الجهة السفلية عن الجهة العلوية، واشتغالكم بالخواص البهيمية عن الكمالات الأنسية، فلازموا التوحيد والعدالة واعتزلوا عن الشرك والظلم الذي هو جماع الرذائل وأمّ الغوائل { ولا تعثوا } في إفسادكم أي: ولا تبالغوا ولا تمادوا في غاية الإفساد فإنّ الظلم هو الغاية في ذلك كما أن العدل هو الغاية في الصلاح وجماع الفضائل.

{ بقية الله خيرٌ لكم إن كنتم مؤمنين } أي: إن كنتم مصدّقين ببقاء شيء فما يبقى لكم عند الله من الكمالات والسعادات الأخروية والمقتنيات العقلية والمكاسب العلمية والعملية خير لكم من تلك المكاسب الفانية التي تشقون بها وتشقون

على أنفسكم في كسبها وتحصيلها ثم تتركونها بالموت ولا يبقى منها معكم شيء إلا وبال التبعات والعذاب اللازم لما في نفوسكم من رواسخ الهيئات.

ولما شاهد إنكارهم وعتوّهم في العصيان، واستهزاءهم بطاعته، وزهده وتوحيده وتنزّهه بقولهم: { أصلاتك } إلى آخره.

{ قال يا قوم أَرَأَيتم } أي: أخبروني { إن كنت على } برهان يقيني على التوحيد { من ربي ورزقني منه رزقاً حسناً } من الحكمة العلمية والعملية والكمال والتكميل بالاستقامة في التوحيد، هل يصح لي أن أترك النهي عن الشرك والظلم والإصلاح بالتزكية والتحلية؟. وحذف جواب: أرأيتم، لما دل عليه في مثله كما مر في قصة نوح وصالح عليهما السلام وعلى خصوصيته ههنا من قوله:

{ وما أُرِيد أن أُخَالفكم } إلى آخره، أي: أن أقصد إلى أجرّ المنافع الدنيوية الفانية بارتكاب الظلم الذي أنهاكم عنه { إن أُريد إلا } إصلاح نفسي ونفوسكم بالتزكية والتهيئة لقبول الحكمة ما دمت مستطيعاً وما كوني موفقاً للإصلاح { إلا بالله عليه توكلت وإليه أُنيب }.

{ قالوا يا شعيب ما نَفْقَه } إنما لم يفقهوا لوجود الرين على قلوبهم بما كسبوا من الآثام وإنما منعهم خوف رهطه من رجمه دون خوف الله تعالى لاحتجابهم بالخلق عن الحق المسبب عن عدم الفقه كقوله تعالى:

{ لأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ }

[الحشر، الآية: ١٣].

{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ }

{ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَٱتَّبَعُواْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ }

{ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ }

{ وَأُتْبِعُواْ فِي هَـٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ }

{ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ }

{ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَـٰكِن ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ }

{ وَكَذٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ }
{ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلآخِرَةِ
ذٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ }
{ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلاَّ لأَجَلٍ مَّعْدُودٍ }
{ يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ }
{ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ }
{ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمٰوٰتُ وَٱلأَرْضُ إِلاَّ مَا شَآءَ رَبُّكَ
إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ } { وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَالِدِينَ
فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمٰوٰتُ وَٱلأَرْضُ إِلاَّ مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ }
{ فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَـٰؤُلاءِ مَا يَعْبُدُونَ
إِلاَّ كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ }
{ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ ٱلْكِتَابَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ
بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ }
{ وَإِنَّ كُلاًّ لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ }

{ فمنهم شقي وسعيدٌ } لما أطلق الشقي والسعيد منكرين للتعظيم دل على الشقي والسعيد الأزليين الأبديين، ولما وصفهم في التقسيم التفصيلي استثنى عن خلود الشقي في النار وخلود السعيد في الجنة بقوله: { إلا ما شَاءَ ربك } لأن المراد بالنار والجنة عذاب النفس بنار الحرمان عن المراد وآلام الهيئات والآثار وثواب النفس بجنة حصول المرادات واللذات وبالاستثناء عن الخلود فيهما خروج الشقيّ منها إلى ما هو أشدّ منه من نيران القلب في حجب الصفات والأفعال بالسخط والطرد والإذلال والإهانة، ونيران الروح بالحجب واللعن والقهر وخروج السعيد منها إلى ما هو ألذّ وأطيب من جنان القلب في مقام تجليات الصفات بالرضوان واللطف والإكرام والإعزاز وجنان الروح في مقام الشهود باللقاء وظهور سبحات الجلال، وما لا عين رأت، ولا أُذن سَمِعت، ولا خطر على قلب بشر، لكون الشقيّ في مقابلة السعيد

وخروج السعيد من الجنة إلى النار محال، وقد دلّ عليه بقوله:
{ عَطَاء غير مَجْذُوذ } أي: غير مقطوع، فكذا ما يقابله على أن قوله تعالى:
{ فعال لما يريد } يشعر بذلك لكونه وعيداً شديداً. هذا لسان الأدب ومراعاة الظواهر في تحقيق البواطن، وأما الحقيقة فتحكم بأن الشقي لما كان في المراتب المذكورة في النار لم يخرج منها بل انتقل من طبقة منها إلى طبقة أخرى ومن دركة إلى دركة فكان في حكم الخلود فالمراد بالاستثناء غيره وهو أنه من حيث الأحدية مع ربّه والربّ آخذ بناصيته على صراط مستقيم يقوده ريح الدبور - التي هي هوى نفسه - يسوقه إلى جهنم، فهو هنالك في عين القرب مع هوى نفسه فيتلذذ بما يوافقه فتصير عين النعيم، فزال مسمى النار في حقه وصار جنة لتلذذه به وإن كان بعيداً عن نعيم السعيد كما جاء في الحديث: « **سينبت في قعر جهنم الجرجير « وفيه: « يأتي على جهنم زمان يصفق أبوابها ليس فيها أحد**« وكذا السعيد، فإن انتقاله في الجنان ودرجاتها والخروج بحكم الاستثناء غير ذلك فهو بفنائه في أحدية الذات واحتراقه بلوعة العشق في سبحات الجمال حيث كان الحق شاهداً ومشهوداً لا في مقام المشاهدة بوجود الروح بل بالشهود الذاتي الأحدي الذي لم يبق فيه لغيره عين ولا أثر ولا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. وإن جعل التنكير في قوله: { شقي وسعيد } للنوعية لا للتعظيم، جاز تأويل خروج الشقي من الناء بالترقي إلى الجنة من مقامه بزكاء نفسه عن الهيئات المظلمة وتبعات المعاصي وحينئذ لا يكون شقيّ الأبد.